هوامش

منذ أكثر من 40 عاماً، يقوم إستيفاو سيلفا دا كونسيساو ببناء «القصر الصغير» في حي فقير بمدينة ساو باولو باستخدام مواد معاد تدويرها، مما أكسبه لقب «غاودي البرازيلي» لتشابهه مع أعمال غاودي الشهيرة

إستيفاو سيلفا دا كونسيساو داخل قصره الصغير (فرانس برس)

غاودي البرازيلي

قصر صغير في حيّ فقير

من قطع خزفية متعددة الألوان وصحون تتداخل مع حجارة الجدران، يواصِل إستيفاو سيلفا دا كونسيساو منذ أربعة عقود بناء ما سُمِّي «كاستيلينيو» (Castelinho) أي «القصر الصغير» في أحد الأحياء الفقيرة في مدينة ساو باولو البرازيلية، مما أكسبه لقب «غاودي البرازيلي». فكما كاتدرائية ساغرادا فاميليا الشهيرة في برشلونة التي صممها المهندس المعماري الكتالوني الشهير أنتوني غاودي، والتي لا تزال قيد الإنشاء منذ أكثر من 140 عاماً، لم يكتمل بعد العمل في هذا المبنى الملون المكون من أربع طبقات والمقام على جنب تلة في المدينة البرازيلية.

قال البنّاء والبستانيّ السابق لوكالة فرانس برس: «أقوم بهذا العمل منذ 39 عاماً، إنه مشروع حياتي. لا أعلم إذا كنت سأنهيه قبل أن أموت، الله وحده يعلم».

أصبح هذا المبنى، الذي أطلق عليه سكان حي بارايسوبوليس الشعبي تسمية «كاستيلينيو»، بمنحنياته المتعرجة، نقطة جذب سياحي لتشابهه المذهل مع عمل مشهور آخر لأنتوني غاودي (1852-1926) هو «بارك غويل». مع ذلك، أكد البرازيلي أنه لم يسمع قط عن العبقري الكتالوني قبل البدء في بناء قصره على قطعة أرض لا تزيد مساحتها عن 60 متراً مربعاً في هذا الحي الفقير الذي يتجاوز عدد سكانه المائة ألف. وأضاف: «لقد صنعت عملاً يشبه عمل غاودي من دون أن أقلّده، لقد خرج من ذهني ببساطة». تابع الرجل ذو الشارب الكثيف قائلاً: «لم أحصّل العلم قط، لكنني تمكنت من إنشاء عمل فني».

رحلة إلى برشلونة

هذا التشابه بين «كاستيلينيو» وأسلوب غاودي اكتشفه أحد الطلاب في مطلع القرن الحالي. وقصة إستيفاو سيلفا دا كونسيساو تناولها الفيلم الوثائقي «غاودي إن ذي فافيلا» (Gaudi in the Favela) للمخرج سيرجيو أوكسمان عام 2002. وخلال تصويره، في العام السابق، ذهب البنّاء السابق إلى برشلونة للاطلاع على أعمال المهندس المعماري الذي يُشبَّه به. وأدّت الشهرة التي حصدها الفيلم إلى تحويل «القصر الصغير» موقعاً سياحياً تبلغ تعرفة التذكرة لزيارته راهناً أكثر من خمسة دولارات.

قالت سيلي مونتيرو ميندز (24 عاماً)، وهي سائحة من ماناوس في منطقة الأمازون البرازيلية: «ثمة الكثير من الأشياء التي يمكن الاطلاع عليها، وكل زاوية صغيرة مليئة بالتفاصيل التي تستحق المشاهدة». بعد عبور المدخل المزين بصحون متعددة الألوان والذي تعلوه الشجيرات، يصل الزائر إلى غرفة تشبه الكهف، وهي نقطة البداية لمتاهة من صالات العرض ذات الأسقف المنخفضة، مع سلالم ضيقة تقود من طبقة إلى أخرى. وزُيِّنت الجدران الأسمنتية المغطاة بالحصى البنيّة الصغيرة بمئات القطع من مختلف الأنواع، ومنها ألعاب بلاستيكية وأكواب وهواتف قديمة وأقنعة وعملات معدنية وتروس ساعات حائط وسوى ذلك. وقد أعطاه الزوار بعض هذه الأشياء.

حديقة مسحورة

ولد «غاودي البرازيلي» في ولاية باهيا في شمال شرق البرازيل، وانتقل عام 1977 إلى ساو باولو حيث عمل في البناء والبستنة. في عام 1985، اشترى أرضاً لبناء منزله في بارايسوبوليس وأطلق العنان لخياله.

وروى قائلاً: «أردت أن تكون لي حديقة، وأن أفعل شيئاً مختلفاً. لم أكن أعتقد أن هذا المشروع سيصبح عملاً فنياً مشهوراً عالمياً يشبه ما فعله غاودي، وإلا كنت سأرفعه إلى مستوى أعلى».

أضاف إستيفاو سيلفا دا كونسيساو: «لقد بنيته بنفسي، لكنه أصبح موقعاً سياحياً». وبدأ دا كونسيساو بزراعة حديقة ورود وبنى هيكلاً معدنياً حولها، لكن النباتات نمت بسرعة كبيرة. بعد أن سئم البستاني من تجريف أوراق الشجر، فضّل إزالة كل النباتات وتغطية الهيكل المعدني بالإسمنت، واضعاً أساسات «قصره».

ولجأ إلى تغطية الجدران بالحصى «لتبريد» المكان، وأضاف إليها صحناً مكسوراً كان في متناول يده، فكان الأول من بين مئات القطع التي يتألف منها عمله في الوقت الراهن.

وعاودت النباتات الظهور في الطبقة الأخيرة من الأدوار الأربعة، في الهواء الطلق، حيث يمكن سماع غناء الطيور والنظر إلى مشهد يعبّر عن عدم المساواة في البرازيل، إذ تمتد في مقدّمه أكواخ الحي الشعبي الفقير، وفي الخلفية البعيدة المباني الضخمة والفخمة في منطقة موروميبي الأنيقة في وسط المدينة.

(فرانس برس)

باختصار

من قطع خزفية متعددة الألوان وصحون تتداخل مع حجارة الجدران، يواصِل إستيفاو سيلفا دا كونسيساو منذ أربعة عقود بناء ما سُمِّي «كاستيلينيو» (Castelinho) أي «القصر الصغير»

■■■

أصبح هذا المبنى نقطة جذب سياحي لتشابهه المذهل مع عمل مشهور آخر لأنتوني غاودي (1852-1926) هو «بارك غويل»

■■■

بعد عبور المدخل المزين بصحون متعددة الألوان، والذي تعلوه الشجيرات، يصل الزائر إلى غرفة تشبه الكهف، وهي نقطة البداية لمتاهة من صالات العرض ذات الأسقف المنخفضة

وأخيراً

في محبّة قاسم حدّاد

محمود الرحبي

استحقّ الشاعر البحريني قاسم حدّاد الفوز بجائزة الأركانة العالمية للشعر (جائزة تقديرية أدبية وثقافية تمنحها سنوياً جمعية بيت الشعر في المغرب بالتعاون مع مؤسّسة الرعاية لصندوق الإبداع والتدبير ووزارة الثقافة المغربية) للعام 2024، التي أعلنت أخيراً، نظراً إلى تجربة حدّاد العريضة شعرياً وثقافياً، وتنوّع اشتغالاته وأناقتها الشكلية. لو نقف فقط عند موقع «جهة الشعر»، الذي حمل أهمّية كبيرة لجميع قرّاء العربية في وقته، وحتّى بعد توقّفه صار منصّة ومرجعاً للبحث، فكان يستكتِب يومياً في مختلف زواياه، وينشر قصائدَ جديدةً، وكتباً ولقاءات وترجمات ودراسات. قاسم حدّاد (أبا طفول كما يُحبّ أن يكنّى) عرف بحميميته وأبوته الظاهرة. أتذكّر في بداية التسعينيّات كنت في البحرين، وحين حضرت أمسيةً لأسرة الكتّاب البحرينيين، وقع خلاف بين اثنين من المثقّفين كاد أن يتحوّل نزاعاً، لولا تدخّل حدّاد بصوته الأبوي الدافئ، ليتحوّل الموقف رأساً على عقب من الحدّية إلى الليونة.

وحين زار قاسم حدّاد عُمان في التسعينيّات أيضاً، كنت بصحبته في رحلة إلى الجبل الأخضر، وكان في الرفقة أيضاً سعدي يوسف وأمجد ناصر وناصر العلوي وسركون بولص. كان حدّاد مهتماً بالتفاصيل، واستوقفه مشهد بقايا الطائرة البريطانية التي أسقطها الثوار ذات زمن بعيد. ويقال إن الذي أسقطها طفلةٌ كانت تختبئ في كهف ومعها بندقية، وربّما أصابت مكاناً حسّاساً في الطائرة أرداها. وحين تتبّع المهاجمون مصدر صوت تلك الطلقات اليتيمة يطلقون أعيرة نيرانهم، وجدوا فتاةً مسجّاةً في كهف تحتضن بندقيتها. قصص كثيرة وحكايات استوقفت قاسم حدّاد، ضمنها ما سمعه من والده عن حكايات السحر العماني، خاصّة في ولايتي نزوى وبهلا. وقد كتب شيئاً من ذلك في دفاتر مذكّراته المنشورة.

كانت بداية حدّاد في السبعينيّات مع ديوان «البشارة»، في وقت لم يكن في الخليج أيّ كتاب شعري حديث، بل كان النمط الكلاسيكي هو السائد، كان قاسم يكتب قصائدَ تفعيلةٍ حينها مفعمةً بالتاريخ والأحلام والأساطير، وكذلك نداءات التحرّر والصوت القومي العربي، إذ عرف عنه خطّه النضالي اليساري في بدايات حياته، الأمر الذي انعكس واضحاً في النبرة الخطابية لدواوينه الأولى. هذا الخطّ التفعيلي ما لبث أن تخلّى عنه في دواوين الثمانينيّات مع شيوع قصيدة النثر، وهنا جاءت قصائده محلّقة تهتم باللغة والرؤى أكثر من اهتمامها بالتفصيل وإيقاع الحياة. يتميّز حدّاد أيضاً بالجدّية والصرامة في حياته، فهو لا يضيّع وقته سدىً. لاحظت ذلك في اللقاءات المحدودة التي التقيته فيها، فلا يبدّد مع الأصدقاء إلا القليل من الوقت بما يسمح بتجديد العلاقة. يشبه في ذلك الناقد والأكاديمي سعيد يقطين الذي إذا أعطاك عشر دقائق من وقته في مقهىً بشارع فال ولد عمير في الرباط فأنت محظوظ.

سخّر حدّاد أيضاً قسماً من وقته لمزاولة أنشطة ثقافية شتّى، وكذلك شعرية. فلا يمكن أن ننسى أيضاً المجلة التي أنشأها قديماً «كلمات»، بأعدادها الثَّريّة، وكم كنّا حريصين نحن الطلبة على اقتنائها ومتابعتها، بل إن كاتب هذه السطور يحفظ مقطعاً معبّراً لقصيدة مترجمة للشاعر اليوناني ريتسوس عن الحرب، كانت منشورةً في أحد أعدادها في الستينيّات: «مثل قطعة خبز سوداء/ تتأرجح بين الأمواج/ وقت كان الناس يجوعون / تلكم هي الحرب».

اهتمّ قاسم حدّاد بالمسرح والغناء والفنّ التشكيلي، وتوزّعت اهتماماته الشكلية الأنيقة أيضاً لتطاول الشعر العذري والشعر الجاهلي. الفنّان البحريني خالد الشيخ انتبه إلى جاذبية كلمات حدّاد وصلاحيتها الغنائية، فدبج بذلك مجموعةً من الأغنيات، وأطلقها في الفضاءات بصوته العذب، في أغانٍ حملت عناوين قصائد حدّاد، مثل «مكان آمن للحُبِّ»، و«صباح الليل»، و«تسألنا أيها المجنون».

جاء في بيان لجنة التحكيم لجائزة الأركانة: «الشاعر قاسم حدّاد علامة مضيئة في سجلّ الشعر العربي والإنساني، أسفر منجزه الإبداعي، الذي يمتدّ منذ سبعينيّات القرن الماضي إلى اليوم، عن أزيد من أربعين ديواناً وكتاباً، علاوة على حضور وازن في الحياة الثقافية والأدبية».

> استحقّ البحريني قاسم حدّاد جائزة الأركانة للشعر نظراً إلى تجربته العريضة شعرياً وثقافياً، وتنوّع اشتغالاته

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**